عظة الأحد الثاني من الصوم

في كنيسة رئيسي الملائكة ميخائيل وجبرائيل

في ٣١ آذار ٢٠٠٢

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

نحن يا أحبة في الأحد الثاني من الصوم. يُقرأ علينا هذا الإنجيل وسمعنا الرسالة لنعي بأن الذي بيننا هو الله الذي تجسد ليعيد الانسجام والتناغم والوحدة بين الإنسان والله. الله يأتي إلينا ويصبح إنسان لكي يعيد الإنسان، لكي يلملمه ويرفعه إلى المرتبة الأولى التي كان فيها عندما كان مع الله قبل أن ينحرف ويبتعد عنه. يسوع كلّم الناس وقال وبشّر كما بشّر يوحنا المعمدان: ارجعوا وتوبوا لأن ملكوت الله قريب. هكذا قال وقبله فعل يوحنا. هذه هي دعوة الرب إلى الإنسان أن يرجع إلى الله. وعندما قال توبوا فإن ملكوت الله قريب، يقصد بأنه هو قريب من الناس لأن ملكوت الله يحصل بأن يصبح الرب يسوع الإله المتجسد سيداً على كل إنسان وهو سيد على كل الخليقة وعلى كل الكون. توبوا فإن ملكوت الله قريب، فقد اقترب ملكوت الله.

سمعوه، وحيثما يكون يسوع أي حيثما نرحّب بيسوع تتغير الأمور. إذا أنا اقتبلت يسوع بحرية وبمحبة وبفرح أي إذا جعلته في قلبي، أي إذا كنت في علاقة ودية معه حياتي تتغير. لا أنا أغيرها، حضور الله فيها يغيّرها، أي أنا لا أحتاج إلا إلى القول أو إلى الإرادة بأن يأتي إليّ يسوع ونترك العمل ليسوع. حيثما يكون يسوع هناك تكون الألوهة وفي الألوهة كل خير. هناك الصلاح، هناك المحبة، هناك الانسجام الداخلي، الطمأنينة الداخلية والطمأنينة الخارجية. فحيثما حلّ يسوع كان يروي حضوره الراحة والطمأنينة والشفاء. ولذا كان الأعمى يعرف بأن يسوع يُشفي. الأعمى كان يصرخ وما رأى يسوع. ولكن غرور يسوع غيّر الجو الذي كان فيه الأعمى، حسّ بحضوره.

أنا أحسّ بحضور القداسة إذا كان هناك قديس. القداسة لا تحتاج إلى كلام. الله يفعل في القلوب، في النفوس، بهدوء كلّي. ولذا كما قلت يشفي كل أنواع المرض ويقيم الموتى كما نعرف. يقول الإنجيلي مرقس بأن يسوع دخل في كفرناحوم وسُمع أنه في بيت. فبالوقت اجتمع كثيرون حتى أنه لم يعد موضعٌ في البيت، لم يعد هناك من مكان. ماذا كان يفعل يسوع؟ كان يخاطبهم بالكلمة، أي كان يوطّد قلوبهم بالكلام. كان يحدّثهم عن ماذا؟ يحدّثهم عن ملكوت الله، أي يقول لكم بأنكم أنتم أبناء الله، أنتم أبناء لله وأنا آتي إليكم لأؤكد لكم هذا الأمر. أنتم أخوتي. أنا أصبحت مثلكم لأؤكد لكم بأني مثلكم وأنتم مثلي. أنا ابن الله وإذا ارتضيتم بأن تكونوا مثلي فأنتم أبناء الله بالتبني. كانوا يسمعونه ولم يعد هناك مكان في البيت. الإنسان يا

أحبة، أقول كل إنسان يفرح بكلام الرب إلا إذا أتت الإغراءات والغوايات أي إذا جاء الشيطان ومن يحمل روح الشيطان ويغيرني. ولكن من منكم لا يفرح بإنسان صالح. لقد قال وأقول بما أعتقد بأن الإنسان الصالح في أيام الشدة لا يذهب إلى غير الصالح. في أيام الشدة الإنسان غير الصالح يذهب إلى الصالح لأنه يعرف غير الصالحين وبأنهم لا يفيدون أحداً. الإنسان يحمل الله في قلبه ولذا يفرح.

فأتوا إليه بمخلع يحمله أربعة. أتوا إلى يسوع، هذا البيت الذي فيه يسوع، لم يكن هناك من مكان ليقف إنسان ولكن أتى أربعة مع مخلع، أتوا به إلى يسوع. هذه الصورة تبارك الرب. كل جماعة تهتم بالمحتاجين، بكل هيئة، بكل جمعية، هؤلاء الأربعة أصحاء حملوا سريراً عليه مخلع وكانوا يعرفون كما أن المخلع يعرف بأنهم إذا أتوا إلى يسوع يُشفى هذا المريض. وجدوا بأنهم لا يستطيعون الدخول إلى البيت، فسألوا بعضا من الناس أن يبتعدوا قليلاً فلم يستطيعوا المرور. ماذا فعلوا؟ صعدوا على سلّم، البيوت القديمة يا أحبة في القرى كان يوجد في الخارج سلّم ومن فوق الطين والقش، كانوا يحدلوه بالمحدلة. ماذا فعلوا الأربعة؟ قوة إيمانهم لم تأبه بما يحصل في السطح. وجدوا بأن يسوع أهم من كل شيء. يمكن أن يلاموا على ما فعلوه وينزعجون منهم لكنهم لم يهتموا، وأنزلوا المريض المخلع إلى يسوع، إلى أمامه، كان هذا هو همهم الوحيد.

على ماذا تدلّ هذه الصورة يا أحبة، أنا أفهم بأن ليس هناك من حجة مهما كانت أن تسمح لي بعدم الوصول إلى يسوع. أنا أرى من هذه الصورة أنني أريد الوصول إلى يسوع بأية طريقة من الطرق، بالطبع الطرق الصالحة، وهنا ليس هناك من عذر ولا سبب يتبرر بها الإنسان لعدم مجيئه إلى يسوع. حمل السرير وعليه مريض من قِبَل الأربعة عمل ليس بالسهل، لكن همهم الوحيد كان الوصول إلى يسوع. مباركة تلك الجمعيات المهتمة بالمتألمين والمرضى والفقراء. فالله أنعم عليهم بالقوة والصحة ولكن الله حرّك قلوبهم أن يهتموا بسبب محبتهم فيه بهؤلاء الناس. هل تعلمون بأن زيارة الحزين هي تعزية كبيرة له، أي إذا كان إنسان حزين والحزن يجعل الإنسان أولاً أن يضيّع عقله، نحن نصلي لا تبتعد عن عقولنا قي الأحلام ولا تنصرف عن نفوسنا في الشدائد. الحزن يجعلك تشعر بأنك وحدك، يجعلك بوحدة لأن الحزن الموجود فيك سببه أن إنسان كان يسندك بشكل من الأشكال تفتقده اليوم. المتألم، الفقير، المريض، أنا أقول ما أصعب الموت عندما لا يجد الإنسان أخاه الإنسان بجانبه وممكن أن يكون الموت جميلاً إذا وجد هذا الإنسان من يحب بجانبه.

المحبة ترفع الإنسان إلى السماء. هؤلاء الأربعة اهتموا بهذا المخلع وكأنهم شفعاء لكل جمعية ولكل هيئة التي تهتم بمن يحتاج المعونة وبالأخص يحتاج الحياة والصحة من الرب يسوع. فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للمخلع: يا بني، مغفورة لك خطاياك. كان هناك قوم من

الكتبة، جالسين هناك، يفكرون في قلوبهم، ما بال هذا يتكلم، إنه يجدّف. من يمكنه أن يغفر الخطايا إلا الله وحده. وقال في كتاب اللاهوتيين بأن من يجدّف على الله فهذا يُقتل قتلاً. يسوع يقول هنا لنا بأني نعم أنا هو ابن الله.

النقطة الثانية، هي أن هؤلاء الكتبة والفريسيين والموجودين عندما رأوا هذا المنظر، الهم هو أن يُشفيه، دعوه يمشي. لكن غاية الله ليست إذا كنت مريضاً فيشفيني بل الغاية كما يقول بالإنجيل أنه إذا كنت يدك أو عينك هما سبب خطيئتك فاقلع عينك، أفضل الذهاب إلى السماء أعور من أن لا ترى. أفضل أن تذهب مقطوع اليد إلى السماء من أن لا تذهب. المقصود يا أحبة، بأن هذا الجسد هو زائل ولكن ما النفع من جسد صحيح ونفس مذرية. عندما يقول له يسوع، مغفورة لك خطاياك، فهو يقول لهذا الإنسان: أنا بالفعل أريد أن أشفيك وإذا حصل لك في حياتك أي حادث أو أي شيء، طالما أنا ساكن فيك فأنت لا تتزحزح لأن الخطيئة وحدها تزعزع. أنا أقول بأنك قوي إن كنت مخلعا أو أعمى أو مريضاً.

والإنسان الذي مع الله لا يخاف من شدة. المؤمن لا يخاف من ألم لا بل يشكر الله. بعض الرهبان هم قديسين يا أحبة، هكذا نقرأ عندما تمر السنوات دون أن يمرضوا فيعتقدون بأن الله لا يفتقدهم لأنهم يعلمون بأنهم يخطئون، ويعرفون بأن نار الألم والشدة هي التي تحرق الخطايا. يسوع يقول لنا بأننا نصوم حتى يسكن قلوبنا وإذا سكن قلوبنا يزول الخوف. وكما يقول بولس الرسول: لا عري، ر جوع، لا عطش، لا شيء يؤثر بي لأني متّحد بالمسيح. لست أنا أحيا بل المسيح يحيا فيّ.

يا أخوتي، يسوع اليوم في قلب الصوم يذكّرنا كما في كل اليوم بأنه إذا كان معنا فلا شيء يستطيع علينا. ليس هناك من أمر عسير عند الله. ما هو غير مستطاع عند الناس هو مستطاع عند الله. فيا أحبة، جاء يسوع حتى يجعل كل واحد منا بالفرح الأبدي. أتى يسوع إلينا حتى يمنحنا ما نسأله. نحن نسأل الاكتفاء الداخلي، الفرح الداخلي، الراحة، الاستقرار، الطمأنينة. فيسوع يرجونا أن نأتي إليه وبالتالي نحصل على كل هذا، وكأن الرب يقول: تعالوا إليّ أيها المتعبون والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. جعل الله صيامكم وأعمالكم مباركة وجعل الله مسكنه في قلوبكم أبدي. آمين.